الفصل الرابع

النظام الدولى: ماذا يعمل ولماذا؟

«الأيادى الكثيرة تصنع عملاً خفيفاً»

«جون هيوود»

* * *

أول ما يخطر بالبال حين تفكر فى الشئون العالمية، ربما لا يكون الحب أو حتى التسامح، أو الإنسانية والتعاون، الشئ الأول الذى يخطر على العقل، أن معظم الأخبار عن التعاون الدولى، هى على النقيض من ذلك: الحذر والشك، والجدل، والصراع والإرهاب والحرب. أما نجاح التعاون – وهو الذى يتحقق بالفعل – فهو نادراً ما يبرز فى التليفزيون أو فى الصحف أو فى كتب التاريخ التى يقرأها أطفالنا، أو (دعونا نواجه الحقيقة)، فإن هذا النجاح نادراً ما يكون فى مستوى اهتماماتنا الشخصية؛ فدراسة وتعليم العلاقات الدولية يركزان عادة على ما هو خطأ فى الصورة، ومنها: أحداث الشغب وقمعها، والانقلابات العسكرية، وتجارة المخدرات، والغارات للاستيلاء على الشركات، والهوس المالى؛ وسباقات التسلح، والحروب والشائعات عن الحروب.

بيد أنه إذا رجعت للوراء ونظرت إلى المشهد ككل، فسوف ترى كل أنواع النظم والتنظيمات الدولية التى تعمل إلى حد ما بالطريقة المفترض أن تعمل بها.

* **التنبؤ بالمناخ:**

بدءاً بمبادرة إدارة كينيدى فى ١٩٦٣، طورت منظمة الأرصاد العالمية جهازاً لمراقبة الطقس العالمى، وهو جهاز كان قائماً على التكنولوجيات التى دخلت حيز الاستخدام بالفعل فى أوائل الستينيات، ومنها: الأقمار الصناعية التى تقوم بالتقاط الصور، وأقمار الاتصال، وأقمار الاستشعار عن بعد، وسرعان ما تم تعزيز هذه التكنولوجيات بأجهزة كمبيوتر عملاقة، للمساعدة فى عمل نماذج بمقاييس كبيرة، ودمج البيانات الكونية بسرعة كافية لتحليلها، قبل أن يصل الطقس المتوقع ويرحل. لقد جعلت هذه التكنولوجيات تحقيق النظام العالمى للطقس شيئاً ممكناً، بحيث يستخدم الملاحظات اليومية من أكثر من مائة دولة، والسفن فى البحر، والبالونات مع صور السحب، والريح، وبيانات الرطوبة من الأقمار، ويدمج كل هذه المعلومات معا. وأنت الآن تعتمد على ذلك النظام كل يوم من أيام العام، حتى تستطيع أن تخمن نوع الطقس الذى سوف تحمله السماء خلال الأيام القليلة القادمة فى ركنك من العالم.

* **استئصال الأمراض المعدية:**

إن أمراضا مثل الدفتريا، والجدرى، تم القضاء عليها، أما الملاريا وأمراض أخرى، فقد تمت مواجهتها عليها بواسطة الجمع بين علوم الطب فى نظام عالمى كبير لمعلومات الصحة العامة. وتقوم منظمة الصحة العالمية بتنسيق هذا البرنامج، الذى يتطلب التعاون المستمر من كل الأمم على الأرض، والتالى فى هذه الأجندة التى لا تنتهى أبداً مرض الإيدز.

**** الطيران المدنى الدولى:**

تستخدم الطائرات من كل الدول المجال الجوى لكل منها، وتستخدم أبراج المراقبة والمطارات مع حوادث قليلة بشكل يثير الدهشة، كما توجد اتفاقية أيضاً تتم من خلالها كل الاتصالات بين الطائرات والمراقبين بلغة مشتركة هى الإنجليزية، والبديل لهذه القواعد المتفق عليها، والتى تم التفاوض عليها من خلال منظمة الطيران المدنى الدولية،

سوف يكون الاضطراب والفوضى بشكل خطير.

**** تخصيص الموجات الصوتية:**

يعقد اتحاد الاتصالات الدولية اجتماعات دورية تضم كل الدول، يطلق عليها اسم المؤتمر الإدارى للإذاعات؛ لتقسيم مجال الذبذبات الكهرومغناطيسية بين كل المستخدمين، ولكل الأغراض (الاتجاه الحديث هو الاتفاق على برنامج للكمبيوتر، يتولى بدوره التخصيص الفعلى للموجات)، هذا التنظيم العام الدولى يجعل من الممكن قيام سوق دولية فى استقبال برامج التليفزيون والراديو، والاتصالات بالتليفون والفاكس عن طريق القمر الصناعى، ويجعل أيضاً عمليات استكشاف الفضاء والاتصال العسكرى الحديث أمراً ممكناً. وبدون اتفاقية تجعل كل دولة تبتعد عن قنوات الآخرين، فلن يتمكن رواد الفضاء من سماع المراقبين الأرضيين الذين يتابعونهم، كما أن صور الأحداث الدولية من مؤتمرات القمة السياسية إلى الألعاب الأوليمبية، سوف تكون مشوهة بدرجة لا يمكن إرسالها، ولن يكون بإمكانك من خلال التليفون أن تتعرف – نتيجة ما يحدث من الضوضاء – على الأصوات المألوفة لعائلتك وأصدقائك.

*** عولمة تدفق المعلومات:**

لأن الاتصالات المبرمجة بالكمبيوتر تعمل بشكل جيد (وغالباً أفضل فيما بين الأمم عنها فى داخل الأمم نفسها)، فقد تطورت النظم حتى يمكنها التوزيع العالمى الفورى للبيانات طوال الأربع والعشرين ساعة فى اليوم لأغراض، مثل: أسعار سوق تبادل العملات، وأسواق السلع، والحجوزات على الخطوط الجوية، وتغطية الأخبار والأحداث الرياضية. هذه الأنظمة تتطلب برامج مختلفة للعقل الإلكترونى، وأجهزة الحواسب الآلية بنوعيها «الهاردوير»، و «السوفت وير»، وأشخاص مدربين للعمل معاً عبر الحدود السياسية والمناطق الزمنية، وقادرين على التصرف بسرعة وبدقة، والإحساس بنظام المعلومات الكامل، الذى يلعبون فيه دوراً. لقد أصبح هذا النظام ممكناً إلى حد ما عن

طريق التصرفات الواعية المقصودة للحكومات، ولكننا نجد بشكل اطرادى أن تبادل المعلومات قد اتخذ له مسارا يخصه وحده، ولا تستطيع الحكومات التصرف كرد فعل إلا بعد وصول الحقيقة، كما فى حالة القيمة المتذبذبة للنقود.

*** الأبحاث الزراعية للتنمية:**

تمكنت شبكة من محطات البحث الزراعى التى بدأت مع معهد الأرز الدولى فى الفلبين أن تحقق زيادة كبيرة فى إنتاجية المزارع فى الدول النامية، كجزء من النجاح المعروف باسم (الثورة الخضراء)، وهذه الشبكة يمولها برنامج تشترك فيه المؤسسات الخاصة، (التى بدأت البرنامج) وبرامج المساعدة الحكومية، والبنك الدولى.. وهى تعمل الآن بجد من خلال تربية سلالات الحيوان والنبات، ومن خلال الهندسة الوراثية لتحقق «ثورة الجينات (عوامل الوراثة) «بُعْد الثورة الخضراء».

*** قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام وصنع السلام:**

إنهم (جنود بلا أعداء)، تمركزوا فى أركان كثيرة مضطربة من العالم، ومن بينها أجزاء كثيرة من الشرق الأوسط؛ وقبرص، والكونغو، واليمن، وكشمير، وإريان جايا (غرب غينيا الجديدة)، وأخيرا الصومال، وكمبوديا، وما كان يسمى بيوغسلافيا. إن مراقبى ووسطاء الأمم المتحدة (وفى بعض الأوقات الأمين العام للأمم المتحدة نفسه أو ممثله الشخصى)، كانوا نشطين فى إخماد الصراع وأحياناً تسوية المنازعات فى جميع أنحاء العالم، وهذه الجهود بدأت ببعثة مراقبة السلام فى اليونان فى ١٩٤٦، وبرزت فى جهود صنع السلام المتعددة فى الشرق الأوسط، وأمريكا الجنوبية، وجنوب شرق آسيا، والمهمات المحددة، فى بعض الأماكن مثل تشاد وجمهورية الدومنيكان.

وقد لعب الأمين العام للأمم المتحدة دوراً حيويا فى نزع فتيل أزمة صواريخ كوبا فى ١٩٦٢، وحديثاً فقد ساعد الممثلون الشخصيون للسكرتير العام فى فك الاشتباك فى الحرب الطويلة بين العراق وإيران، وفى إجراء التفاوض حول انسحاب جنوب أفريقيا من ناميبيا، وانسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان، وتشكيل حكومة ائتلافية فى

كمبوديا، وإطلاق سراح الرهائن من لبنان.

* التعاون فى الفضاء الخارجى:

منذ جيل مضى، أعلنت الأمم المتحدة بالاتفاق مع الدول التى لها نشاط فى الفضاء أن الفضاء الخارجى والأجسام السماوية (متضمنة القمر)، تعتبر منطقة مشتركة للبشرية كلها. وأتبعت بعد ذلك بالمعاهدات الرسمية حول موضوعات مثل حدوث أى ضرر للكرة الأرضية، وعودة رواد الفضاء الذين ضلوا طريقهم إلى أوطانهم. ولأن الفضاء بدأ فى الامتلاء، فإن هناك أنواعاً أخرى من التعاون الدولى تبدو ضرورية، مثل: تحريم وضع القنابل فى المدارات، ومتابعة عمليات الإطلاق (وهذا تفعله الأمم المتحدة)، وتنفيذ اتفاقيات التوصل إلى البيانات من المركبات الفضائية المتعلقة بخرائط الطقس والتنبؤ بالمحاصيل، وهناك اقتراح فرنسى تم تقديمه فى ١٩٧٨ بإمداد سكرتير عام الأمم المتحدة بالقدرة على مراقبة التحركات العسكرية بواسطة الأقمار الصناعية، وهو اقتراح ممكن أن يتحول إلى سياسة عملية مفيدة فى التسعينيات.

قانون البحار:

وعن طريق إجماع دولى غير عادى، أمضت دول العالم خمسة عشر عاماً، فى إعادة صياغة قانون المحيطات فى معاهدة طويلة، تاركين فقط موضوعًا واحداً دون حسم. وعندما بدأت المسألة فى ١٩٦٧، أعلنت الجمعية العامة أن المحيطات العميقة وقاع المحيط تعتبر «ميراثًا مشتركًا للبشرية». وفى سنوات المفاوضات المتعددة التى تلت ذلك، تآكل هذا المبدأ عندما سمحت حكومات العالم العالمية للدول الساحلية بالامتداد لمائتى ميل من شواطئها؛ لتكون لها سلطة على «مناطق اقتصادية تخصها وحدها»؛ وبسبب الثغرة الضخمة التى ظلت باقية، فقد اتفقت الدول على طريقة لتنظيم استخدام قاع البحار (وقد عارضت الولايات المتحدة وقليل من الدول الأخرى هذه النقطة). وبالإجماع وافقت حكومات العالم على العمل؛ من أجل حماية أقوى للبيئة البحرية، ومن أجل

الاستخدام العلمى والعسكرى للمحيطات المفتوحة، ومن أجل المضايق المهمة فى البحار العالمية. والمعاهدة الخاصة بذلك هى أكثر الوثائق تعقيداً التى تم التفاوض عليها بين الدول، فهى تحتوى على معادلات حسابية، وتتطلب الاستخدام الجماعى للعمل والحسابات بالكمبيوتر. وعلى الرغم من غياب توقيع الولايات المتحدة بسبب موضوع قاع البحار، فقد أعلن البيت الأبيض مؤخراً أن بقية نصوص المعاهدة الطويلة أصبح «قانوناً مألوفًا».

*** اللجنة العليا للاجئين:**

هذا المكتب المفيد (ويديره شخص واحد وليس لجنة من مندوبى الدول)، تم تأسيسه بواسطة الجمعية العامة، كوسيلة للاعتراف بالمسئولية العالمية نحو اللاجئين والأشخاص المشردين، والذين كان يتعين إيجاد منازل لهم بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد حل مشكلة معظم المشردين الأوربيين بوقت قصير، ظهرت مشاكل اللاجئين فى قارات أخرى. واليوم يوجد لاجئون دوليون أكثر مما كان فى الأربعين عاماً الماضية يضمون خليطًا عرقيًاً متباينًا من الشعوب المختلفة (وعددهم أكثر من ضعف عدد المشردين داخل بلدانهم إذا تم إحصاؤهم)، وقد قامت اللجنة العليا للاجئين بدور نشط ومبتكر كوسيط ومنسق من أجل تنشيط عمليات أنقذت ملايين البشر من التشرد، وأنقذت كثيرين من خطر الأمراض والموت.

وقد منحت جائزة نوبل للسلام مرتين لمكتب اللجنة العليا للاجئين. وفى فترة الثمانينيات كان المكتب أقل نشاطًا، ولكن وجود قيادة جديدة فى بداية التسعينيات أعاد له سمعته الطيبة ووسع من دوره. وقد أصبحت للجنة الأمم المتحدة العليا للاجئين التى تعمل بين الناس الذين يعانون من أوضاعهم علانية دائمة فى النظام الدولى، وأصبحت الحاجة لها الآن أكثر من ذى قبل كضمير منسق لوعى المجتمع العالمى.

* معاهدة الأوزون :

اعتقد اثنان من علماء الكيمياء فى عام ١٩٧٤ أن الأنشطة الإنسانية ربما تؤدى إلى تآكل طبقة الأوزون التى تحمى البشرية من استقبال الأشعة فوق البنفسجية من الشمس أكثر مما ينبغى، وفى عام ١٩٨٧ – وبعد ١٣ سنة فقط – وافقت خمس دول، عن طريق اتفاقية، أن تبطئ من استخدام المواد، التى تؤدى إلى تآكل الأوزون مثل مادة الكلوروفلوروكاربون، وكانت القضايا المتعلقة بهذا الموضوع كما قال الدبلوماسى الأمريكى ريتشارد بينديك معقدة إلى درجة كبيرة، فقد كان العلم مازال يخمن هذه الأشياء، كما أن الدليل على حدوث الضرر كان غائبًا. وهذا الإنجاز الذى يدعو للإعجاب كان ممكناً؛ لأنه كان يوجد إجماع علمى دولى عليه، وكانت المعلومات عن الموضوع تتدفق بسهولة، كما أن عملية البحث عن الحقائق جذبت هيئات غير حكومية للمشاركة، ومنها على وجه الخصوص الصناعات التى تستخدم الكلوروفلوروكاربون. كما أن ثمة عاملاً مؤثرًا، وهو برنامج الأمم المتحدة للبيئة الذى ساعد على أن تنحى الحكومات صراعاتها فى الشئون الأخرى جانبًا، وتتعاون فى هذا المجال، وكانت الاتفاقية نفسها حافلة بالإنجازات، فقد وضعت حداً معيناً لإطلاق هذه الغازات فى الجو، ولكنها تركت للسوق مهمة تخفيض غاز (الكلوروفلوروكاربون). ولأسباب تتعلق بالعدالة، فإن هذه الأهداف كانت أكثر شدة مع الدول الغنية أكثر من الدول الفقيرة، وقد ترك الباب مفتوحاً – فيما بعد – لمراجعة مستقبلية فى عملية مرنة وديناميكية. وفى السنوات الخمس الأولى التى تلت ١٩٨٧ وافقت معظم البلدان على تشديد قيود المعاهدة فيما يتعلق بإطلاق غاز الكلوروفلوروكاربون.

* معاهدة القطب الجنوبى :

لا يمكن لكل دولة أن تستحوذ على كل شئ، ففى ١٩٥٩ وافقت ١٢ دولة على التحريم المؤقت لإدعاءات الدول ملكيتها لأجزاء من المحيط القطبى الجنوبى، وضرورة

إتاحة القارة للبحوث العلمية، كما حرموا أى أنشطة عسكرية، أو تجارب نووية، أو دفن النفايات النووية فى هذه الأرض المتجمدة التى لا صاحب لها.

ومنذ ١٩٥٩ انضمت ٦ دول أخرى إلى هذه المعاهدة، وأصبحت واحدة أخرى شريكاً كاملاً فى المعاهدة، وقد أفاد التعاون الناجم عن ذلك فى بعض الأعمال العلمية المهمة جداً، فعلى سبيل المثال، أعطت العينات المركزية من الثلج القديم تصوراً تاريخياً مفيداً سواء لمكتشفى الفضاء، أو للمحللين؛ لبحث إمكانية ارتفاع درجة حرارة الكون. ولاشك أن عملية المعاهدة تعد غير عادية، تم الإعداد لها نظراً لعدم وجود هيئة دولية، فكل الشئون الإدارية والسياسية استندت إلى اجتماعات دورية، وذلك عن طريق الدول الأعضاء. وعندما روجعت المعاهدة فى ١٩٩١، ظلت كل الدول الموقعة مرتبطة بالمعاهدة وأضافت إلى ذلك تحريم التنقيب عن المعادن لمدة ٥٠ عاماً.

** وأعتقد أن هذه الأمثلة الاثنتى عشرة السابق ذكرها حالات واضحة للتعاون الناجح على المستوى العالمى فى مواجهة المشكلات الكونية، وعلى ما يتم عمله. ولكن القائمة أهملت ضبط التسلح، فطوال الفترة التى استغرقتها الحرب الباردة، كان ناتج محادثات الحد من التسلح داخل وخارج الأمم المتحدة غير متناسب كلياً مع مدخلات الوقت والجهد.

وعلى أية حال.. فإن القائمة بعيدة عن الاستنفاذ؛ إذ إنها لم تذكر المساهمة العالمية غير العادية لصندوق الأمم المتحدة للطفولة، والفعالية المنقطعة النظير للبنك الدولى، واستمرار وبقاء حرب الأمم المتحدة على الفقر، وهى تتجاهل نجاحات الأعمال والأنشطة عبر القومية والتى تجعل العالم أكثر دولية، بشكل لا تجده الحكومات القومية مريحاً. كما تتجاهل أيضاً الظاهرة الخادعة للأحداث الإعلامية الكونية مثل معونات الحياة، ومسألة بنجلاديش و«نحن العالم».

ويقول جون فوبز الأمريكى الذى عمل نائباً لمدير عام اليونسكو: «إن معظم الناس

عملوا بجد، متمثلين روح اليونسكو، لينظموا أنفسهم من أجل التسامح، والإنسانية والتراحم والتعاون، كما أن المصلحة الأكثر قد تم إنجازها بأناس يتصرفون بالروح نفسها، أكثر من طريقة أداء المشروعات السابقة فى إطار برنامجها، الذى تمت الموافقة عليه». إلى جانب ذلك فإنه يصعب قياس النجاح بالتحديد فى الكثير من أنواع التعاون الدولى، كما فى حالة تدريب المدرسين أو دعم وتأييد حقوق الإنسان أو استرجاع وتدوين التواريخ الثقافية.

وقليل من المنظمات الإقليمية سجلت أيضاً بعض النجاحات المشرفة، فحلف شمال الأطلنطى فعل بالتأكيد الشيئين الرئيسيين اللذين قام من أجلهما، وهما: احتواء القوة العسكرية السوفيتية، وتقديم إطار من التعاون الحميم، يمكن من خلاله إعادة إحياء ألمانيا، دون إحياء المخاوف والمنافسات الأوروبية القديمة. ومنذ أواخر الستينيات أصبح الناتو بمثابة مؤتمر سياسى دؤوب لكيفية صنع السلام مع السوفيت.

أما بالنسبة للمجتمع الأوروبى – وبعد عقدين من أزمة الهوية – فإنه قد توحدت جهودهم، وأقاموا سوقاً مشتركة فعالة وقوية، فبعد ثلاثين عاماً من معاهدة روما اتجهت دول المجموعة الاثنتى عشرة نحو مزيد من الاندماج الغربى فى مشروع معاهدة ماستريخت عام ١٩٩١ بالموافقة على إنشاء عملة مشتركة (وحدت الآن أوروبا عملتها، وأصبحت تحمل اسم «اليورو» – المترجم). وآلية لتنسيق السياسات الخارجية، وقوة دفاع أوروبية، ونسق جديد من القوانين الاجتماعية، وإعطاء البرلمان الأوروبى المنتخب انتخاباً مباشراً سلطات جديدة، مثل: حق الاعتراض على بعض الأعمال التنفيذية، وتعميق تعهداتهم المتبادلة، ومن ثم استطاعوا التعامل مع مسألة توسيع الجماعة الأوربية، وفقط فى الوقت المحدد؛ ولذلك بدأت الدول الإسكندنافية، ودول أوروبا الشرقية المحايدة، ودول يوغسلافيا، والاتحاد السوفيتى السابق فى طرق أبواب الجماعة الأوروبية.

وخارج إطار أوروبا الغربية، يوجد فى ركن واحد فقط من آسيا منظمة دائمة على أساس جغرافى هى (رابطة دول جنوب آسيا « الآسيان »)، تعطى بريق أمل، أما أولئك الموجودين فى شرق أوروبا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا وجنوب آسيا والجامعة العربية فى الشرق الأوسط فلم يصبحوا أبداً لاعبين مؤثرين فى الشئون الدولية؛ حيث تم توظيف واستخدام بعضهم، بينما اختفى البعض الآخر تماماً مثل مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة للدول الشيوعية. وعلى النقيض من ذلك، فإن صافى العمل الذى يربط الناس ذوى الميول الفعلية المتشابهة مثل كارتل البترول، وتجار المخدرات، والمجتمع الدولى للعلماء، والأصوليين الإسلاميين، ونادى الدول الغنية المسمى (منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية)، أثبتت كلها أنها أكثر ترابطاً وتماسكاً، وأكثر دواماً وبقاءً وتأثيراً فى الشئون العالمية.

وتعد اتفاقية تطهير البحر المتوسط مثالاً إقليمياً ناجحاً ومؤثراً ومثيراً للإعجاب، فمياهه الفاتنة أصبحت ملوثة أثناء سنوات ما بعد الحرب، لدرجة أن الكثيرين اعتقدوا أن الحياة البحرية فى البحر المتوسط قد دُمرت، وأن جاذبيتها للسائحين والمقيمين تناقصت بدرجة مؤثرة. وقد وافقت ستون دولة من الدول المتنوعة المحيطة بالبحر المتوسط فى ١٩٧٦ – بتشجيع ومساهمة من برنامج الأمم المتحدة للبيئة – على وضع خطة عمل لإنقاذ مياهها، وفى خلال عقد ونصف، بدأت الزرقة تعود مرة ثانية إلى أجزاء من البحر المتوسط.

وهناك عشرة خطوط مشتركة تربط قصص النجاح للأمثلة الخاصة بالاثنتى عشرة دولة، والتى ذكرناها آنفًا، فإذا أخذناها سوياً، تكونت مقومات لا تقدر بثمن للنجاح فى التعاون الدولى:

١ – الاتفاق على العوائد المرغوبة:

فالناس الذين لا يتفقون غالباً على شئ ما، يمكن أن يتفقوا على أن بثرة جدرى

صغيرة تشكل تهديداً لهم جميعا. وبشكل أكثر دقة يمكن القول أن نشرة المناخ يمكن أن تكون مفيدة، وأن البحار المغلقة يجب تنظيفها، والطائرات المدنية يجب ألا تصطدم، ويجب أن يساعد أحد ما اللاجئين، وفى معظم فترات هذا القرن، لم يكن هناك اتفاق مطابق لذلك فى مجالات التجارة، والمال، ونزع التسلح.

٢ - لا أحد يخسر:

إذ تحولت النجاحات الاثنتى عشرة، بعد سنوات من المفاوضات الدولية إلى مباراة يكسب فيها الجميع.. فمعاهدة الأوزون لم تكن لتوضع فى الاعتبار، لو لم تبد الدول المتقدمة اهتمامها بتخفيض الإطلاق السريع لغاز كلوروفلوروكاربون، كما أن كل بلد مطلة على البحر المتوسط سوف تكسب من تطهيره. فإذا كانت تلك البحار المغلقة قد تلوثت بشكل مشترك، فقد أمكن تطهيرها أيضاً بشكل مشترك.

كما أنه فى مصلحة كل دولة أن تكون لها قنوات اتصالية غير معاقة بالإرسال اللاسلكى الإلكترونى للآخرين.. ولم نكن قد بدأنا فى رؤية تقدم حقيقى فى قضية نزع التسلح، إلى أن توصل كل من الاتحاد السوفيتى وحلف الأطلنطى إلى أن أمن كل منهما يمكن تعزيزه واقعيًّا بالتخلص من الأسلحة الخطيرة، بل وعديمة الفائدة.

٣ - السيادة قاسم مشترك:

عندما لا تستطيع دولة ما التصرف بفعالية، دون أن تربط بين مواردها وتصوراتها وتكنولوجياتها، وبين المصادر نفسها التى للأمم الأخرى، فإن التعاون لا يعنى التنازل عن الاستقلال فى التصرفات، وإنما يعنى المشاركة فيها، وهكذا يمكنهما أن يستخدما حقوق سيادتهما معاً لتجنب فقدها بشكل منفصل.

٤ - خليط من الخوف والأمل.. هو الحافز للتعاون:

إن الخوف وحده يؤدى إلى عدم العقلانية وأحياناً السلوك العدوانى، والأمل وحده

يُنتج المشاعر الطيبة، ولكنه ينتج تأييداً غير واقعي. فالحقيقة القائمة على ارتباط الخوف والأمل، يبدو أنها تعطي الحافز للتعاون. ففي حالة معاهدة الأوزون.. كان التيقن من التهديد، الذي تحدثه طبقة الأوزون، هو السبب ذاته في خلق قرارات علمية كثيرة، دون الاقتصار على تصرفات أو أفعال سياسية. ولكن ذات مرة ألتقطت الشركات الرئيسية المسئولة عن انبعاث غاز كلوروفلوروكاربون الرسالة وبحثوا بجدية عن البدائل. وحتى وقت القرار كان «دي بونت» وآخرون، متأكدين تماماً من أن فريقهم البحثي وجد البدائل المتاحة لغاز كلوروفلوروكاربون، ولذلك تعاونوا بشكل أكبر مع الجهود الدبلوماسية للتفاوض حول معاهدة عن ذلك الموضوع.

٥ - الأفراد هم أساس حدوث الأشياء:

في المراحل المبكرة لكل قصة من هذه القصص الناجحة، لعب عدد قليل من الأفراد الرئيسيين دوراً حاسماً، وتصرفوا كأشخاص دوليين في القيادة، والإلهام، والمشاركة، والمعرفة، والإصرار، وتوليد مناخ من الثقة، يتجاوز حالة عدم الثقة التي سادت في ميادين أخرى. وفي «ساعة المناخ العالمية» كان هؤلاء في معظمهم رجال دولة علماء، ومتخصصون في اجتثاث بثور الجدري، وكان هناك أطباء الصحة العامة، وفي قانون البحار كان هناك محامون ذوو رؤى ثاقبة، وبينهم لاعبون رئيسيون من الدول النامية، وفي حالة الاتصالات كان هناك بعض خبراء الاتصالات، الذين رأوا أن العالم المترابط يمكن أن يخلق التعاون ويقضي على الصراع. وفي التعاون كذلك في مجال الفضاء الخارجي، كان هناك بعض المحامين، وأخيراً بعض رواد الفضاء ومفاهيمهم عن الأرض غير المجزأة.

٦ - تكنولوجيا المعلومات الحديثة هي الأصل:

إن الحاجة إلى بيانات معقدة عملية وسريعة جعلت الاتصال الكفء يبدو قاسمًا مشتركاً في كل قصص النجاح في التعاون الدولي. وهذا يفترض فكرة شيقة مؤداها؛

نظراً لأن الكمبيوترات والاتصالات الإلكترونية يقود العالم حالياً نحو نظم ضخمة من التعاون. وعلى سبيل المثال، فإن النظم الجديدة للقياس والحساب تجعل من الممكن أن تولد هذه التكنولوجيات حركة عالمية بين العلوم الأرضية، تمكن الخبراء من التفكير جدياً، وبطريقة نظامية فى الموضوعات البيئية الضخمة، فى إطار كونى مشترك.

٧ - الجماعات غير الحكومية تلعب دوراً رياديّاً:

القصة الحديثة للتعاون الدولى متعددة الأطراف، نتيجة مشاركة الأكاديميات العلمية، ومعاهد البحوث، وجماعات المرأة، والشركات الدولية، والخبراء الذين لايشعرون أنهم بحاجة إلى أن يصطنعوا تصرفاتهم كالممثلين الحكوميين، الذين تتركز كل مهمتهم فى تبليغ الأوامر لحكوماتهم. وغالبًا.. فإن الحاجة لتنظيم دولى تحدث أولا للناس بعيداً عن الحكومات؛ فالعلماء على سبيل المثال يهتمون بموضوعات علم وراثة النبات والحيوان، وكيمياء المناخ، والحرب البيولوجية، والبحث فى الشئون القطبية. كما أن معظم «بنود إعلان البيئة الإنسانية»، تمت الموافقة عليها بواسطة الحكومات فى مؤتمر ستوكهولم فى ١٩٧٢، وكانت هذه البنود قد كتبت فى صيف عام ١٩٧١، من قبل جهات غير حكومية، وجمع بواسطة معهد أسبن غير الحكومى، والذى عمل عن قرب مع «موريس ستروبج»، السكرتير العام للمؤتمر الرسمى. ومعظم المفاوضات الحقيقية حول المفاهيم واللغة فى قانون معاهدة البحار، خاصة فى المراحل الأخيرة، حدثت خلال الجلسات الرسمية فى اجتماعات معهد قانون البحار، وهو مؤسسة غير حكومية دولية، أقيمت فى هونولولو.

٨ - النظم المرنة وغير المركزية تعمل بشكل أفضل:

بقدر تعقد المهمة، وبقدر تنوع اللاعبين، بقدر ما تظهر الضرورة لنشر العمل؛ بحيث تجد أنواع كثيرة من البشر شعوراً متوافقا فى الاتجاه نفسه. والمثال الأكثر وضوحًا بالطبع هو التدفق الكونى للمعلومات عن السلع، والأدوات المالية، والنقود. وحقا فإن جوهر

نظام السوق هو أن القرارات غير مركزية، ولكنها تقارن وتجمع بسرعة شديدة فى مكان السوق المركزى.. ومع وجود تكنولوجيا المعلومات الحديثة لم يعد هذا مكاناً فحسب، ولكنه ببساطة إتاحة التزامن فى المعلومات نفسها فى آلاف الكمبيوترات المبعثرة. وحتى فى الأنشطة المرتبطة بالوظائف الحكومية.. فإن التعقيدات غير ممركزة، فساعة المناخ العالمية تعمل جيداً بشكل جزئى؛ لأنه من خلال المستويات والتعريفات التى وافقت عليها الحكومات فى «منظمة الأرصاد العالمية».. فإن جميع البيانات الحالية، والتحليل، والنمذجة، والتنبؤ، قد أنجز ليس بواسطة بيروقراطية دولية، ولكن بواسطة خدمات وخبراء المناخ الوطنيين المبعثرين حول العالم فى معامل البحوث المناخية، وفى الكليات الجامعية؛ حيث أمدت ثلاثة أنظمة فى روسيا والولايات المتحدة وإستراليا بالتنسيق الفنى والقدرات الكمبيوترية الضخمة.

٩ - الموهبة المحلية المتعلمة ضرورية:

لا سيما حين يكون للدول النامية دور رئيسى لتلعبه؛ إذ يتم التعاون بشكل أفضل عندما يستخدمون مواهبهم الخاصة لعمل الجزء الخاص بهم؛ فالحاجة إلى المشاركة فى نظام دولى، دفعت الدول النامية بالفعل إلى تطوير وتنمية خبرائهم ومديرى النظام، وتأمين المعونة والمساعدة من الدول المتقدمة تكنولوجيا فى عمل ذلك. وهذا حقيقى بالتحديد فى مجالات، مثل: بحوث المناخ وإدارة الصحة العامة، وعلم الأوبئة، والاستشعار عن بعد من الفضاء الخارجى، والرقابة على الإشارات الهوائية، والاتصالات، وخدمات الأخبار، والبحث الزراعى، وتكنولوجيا الأحياء، وإدارة الموارد البحرية للدول الساحلية والجزرية.

١٠ - الولايات المتحدة لاعب أساسى:

فى الحالات الاثنتى عشرة من قصص النجاح السابق سردها، كانت المبادرات الأمريكية والبحث، والموارد، والقواعد التنظيمية، عوامل مهمة. وبرز الجانب الآخر

للقصة نفسها فى سجلات الثمانينيات، وعندما كانت الولايات المتحدة تغوص فى المياه، فإن النظام الدولى كان راكداً أيضًا.

إن عالم المستقبل سوف يكون مختلفاً، فمعظم التاريخ الذى تمت مراجعته هنا بدأ فى حقبة، كانت الولايات فيها الدولة الوحيدة التى استطاعت أن تتخذ مبادرات ضخمة، تتطلب موارد جديدة رئيسية ونظرة عالمية طموحة. وفى التسعينيات وما بعدها، اعتمدت المشروعات التعاونية الكونية بالطبع جزئيّاً على المبادرة والقيادة من أوروبا واليابان على المنوال نفسه. وسوف تكون أدوار القيادة المهمة، متاحة أمام القوى المتوسطة مثل الصين، وكندا، والبرازيل، والهند، وأستراليا، ونيجيريا. ولأن نظم التعاون الدولى أصبحت أكبر من ملابسهم الضيقة، فإنه يمكننا أن ننظر أكثر وأكثر إلى التنفيذيين العموميين الدوليين للقيام بالدور الفعال الذى لعبه حديثاً السكرتير العام للأمم المتحدة بيريز دى كولار فى القضايا العسكرية والسياسية، كما لعب موريس ستروبج ومصطفى طلبه أول مديرين تنفيذيين لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة دوراً فعالاً فى مواجهة التهديدات، التى تتعرض لها بيئة الكون.

ولكن على الرغم من كل ما قيل، فإن تخمينى هو أنه فى شئون القيادة الدولية فإن الماضى هو جزئيا مقدمة للحاضر؛ فالولايات المتحدة لا تزال هى البلد الوحيد ذا الطبيعة الكونية فى كل مجال: سياسى، عسكرى، واقتصادى، وتعليمى، وثقافى. حتى بين أكثر الشركاء تعاوناً فربما يكون على الحكومات الأمريكية والمنظمات الأمريكية غير الحكومية أن تساهم بأكثر من حصتها من المبادرات، لإعادة تشكيل النظام الدولى، حتى إذا أمكن أن يكون الدعم المالى والإنسانى لهذه الأنماط الجديدة من التعاون أكثر اتساعًا فى المشاركة الآن. وفى الفصل الحادى عشر سوف نعود إلى اضطراب القيادة العالمية، حيث لا نجد أحداً مسئولاً عن قيادة العالم.